المحاضرة الثّامنة :

المنهج المقارِن "الإجراء".

الكفاءات المستهدفة :

-أن يتعرّف الطّالب على مفهوم المنهج المقارن في دراسة اللّغة وأهمّ قضاياه التي يعالجها في هذه الدّراسة.

-أن يقف الطّالب على ايجابيّات وسلبيّات المنهج المقارن في دراسة اللّغة

-أن يستنتج الطّالب الخطوات الإجرائيّة للمنهج المقارن في دراسته للّغة.

-أن يوظّف الطّالب هذا المنهج في بحوثه العلميّة .

تمهيد:

لغات العالم عبارة عن فصائل لغويّة، وكلّ فصيلة تشعّبت إلى عدّة لغات متفرّعة عنها، فالتّطوّر اللّغوي يظهر لنا أنّ هذه اللّغة أو تلك تتشعّب إلى لهجات متعدّدة ثم ترتقي إحداها أو بعضها إلى اللّغة الأدبيّة الفصحى ،وقد يلحق هذه اللّهجات واللّغات تطوّرات وتغيّرات كثيرة تبعدها عن أصولها. ولا يمكن للدّراسة الوصفيّة أو التّاريخيّة وحدهما أن يفسّرا هذه الظّواهر[1] ، وإنّما الذي يستخدمه الباحث اللّغوي في هذه الحالة هو المنهج المقارن.

أولا- مفهوم المنهج المقارن :

هو منهج الدّراسة اللّغويّة الذي يقوم بالمقارنة بين لغتين أو أكثر بشرط انتماء هاتين اللّغتين أو تلك اللّغات إلى أسرة لغويّة واحدة لمعرفة أوجه التّشابه والاختلاف وتحديد صلة القرابة بين هذه اللّغات موضع المقارنة، وذلك رغبة في تصنيف اللّغات إلى أُسر وفروع لغويّة،ويقوم هذا التّصنيف على أوجه التّشابه في المستويات اللّغويّة(صوتيّة ،صرفيّة، تركيبيّة ودلاليّة)[2]، ونستطيع أن نقول إنّ هذا المنهج يقوم بالمقارنة بين تغيّرات اللّغات أو بين الأصل ،وما تفرّع منه أو ما آل إليه من فترة إلى أخرى.

وميدان الدّراسة اللّغويّة بهذا المنهج هو اللّغات ذات الأصل الواحد كالعربيّة و العبريّة ، واللّغة الإندونيسيّة و المالاويّة و اللّغة الاسبانيّة وغيرها ، وليس من شأنه أن يقارن بين اللّغات التي ترجع إلى أصول مختلفة كالمقارنة بين العربيّة و الانجليزيّة مثلا[3] ، وذلك بغية الكشف عن الخصائص والسمات المشتركة بين هذه اللّغات ذات فصيلة لغويّة واحدة.

ثانيا- بين المنهجين التّاريخي والمقارن :

المنهج المقارن هو في الحقيقة امتداد للمنهج التّاريخي ، وإن كانا قد ظهرا في وقت متقارب جدا ، حيث أنّه قد نما في أحضانه[4] ،وقد حدّد الباحثون في اللّغة العناصر التي يتميّز بها المنهج المقارن عن التّاريخي، والتي يُمكنُ تلخيصها فيما يأتي[5]:

- يركّز على بحث الظّاهرة اللّغويّة في أكثر من لغة.

---

[1] ينظر: **محاضرات في اللّسانيات المعاصرة** ، بوقرة نعمان، ص 10.

[2] ينظر: **العربيّة وعلم اللّغة الحديث**،محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة،2001م، ص 99.

[3] ينظر: **المرجع نفسه** ، ص 63.

[4] ينظر: **في مناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث**، صالح بلعيد، ص 48.

[5] ينظر:**المستشرقون والمناهج اللّغويّة**،إسماعيل أحمد عمايرة،ط2،سلسلة دراسات لغوية،دار حنين،عمان،الأردن،ص 41.

- يركّز بشكل خاصّ على بحث الظّاهرة في اللّغات التي تنتمي إلى أصل واحد، كاللّغات الحامية أو الهنديّة الأوروبيّة.
- هدفه التّأصيل التّاريخي ، كأن يستدلّ على الظاهرة بالتماسها في أخواتها، أو حداثتها بتفرّد اللّفظة المعنيّة بها من بين أخواتها بحسب تاريخ حياة تلك اللّغة.

وبذلك يكون المنهج المقارن قد مكَّن الباحث من تفسير عدد من الظّواهر في لغة معيّنة، كان عجز عن تفسيرها بتوظيف المنهج التّاريخي وحده. ومن الملاحظ اعتماد الدّراسة المقارنة على المنهج التّاريخي؛ حيث تقتضي الدّراسة المقارنة تتبّع الظّواهر المشتركة في لغتين أو أكثر من عائلة واحدة، وهذا يعني أنّ الدّراسة المقارنة شكل من أشكال الدّراسة التّاريخية؛ لأنّه ينطلق من فرضيّة أنّ لغتين أو مجموعة من اللّغات تنتمي إلى أصل واحد، وهذا يعنى ضمنا أنّ تطوّرا ما قد أصاب هذا الأصل وأدَّى إلى هذا الانقسام.

ثالثا- قضايا المنهج المقارن:

يُمكنُ تحديد أهمّ قضايا البحث اللّغوي بتوظيف المنهج المقارن فيما يأتي:

- المقارنة بين لغتين أو عدة لغات منتمية إلى أصل واحد كالمقارنة بين اللّغات السّامية ،ومن الدّراسات المقارنة في هذا المجال المقارنة بين الكنعانيّة والعربيّة ، حيث تنبّه الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى العلاقة بينهما، وأنّهما متضارعان ، كما عرف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) ، اللّغة السريانية ،وأداة التّعريف فيها هي الفتحة الطّويلة في أواخر كلماتها "حيث يرى أنّ للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه ، منها إدخال الألف واللام في أوّل الاسم ، وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه في الرّفع والنّصب والخفض(الجرّ)، كما أدخلوا في الطّور وحذفوا الألف التي في الآخر، فألزموه الإعراب في كلّ وجه ، وهو بالسّريانيّة طور على حال واحد في الرّفع والنّصب والخفض،وكذلك اليم هو بالسّريانية "يما" فأدخلت العرب فيه الألف واللام وصرفته في جميع الإعراب على ما وصفت."[1]
- الوقوف على مظاهر الاتّفاق والاختلاف بين اللّغتين المدروستين أو اللّغات المدروسة صوتيّا ،صرفيّا،نحويّا،ودلاليّا مع التّركيز على جوانب الاتّفاق ،وكمثال عن ذلك ما ذكره أحمد مختار عمر في أنّ بعض نحاة عرب الأندلس الذين عرفوا في القرن الرّابع

[1] ينظر: **منهج البحث اللّغوي**، محمود سليمان ياقوت ، ص 107

هجري قدّموا دراسات مقارنة بين العربيّة والعبريّة ، ومن هؤلاء "ابن بارون" الذي ألّف كتابا عنوانه "الموازنة بين اللّغة العبريّة والعربيّة" ،حيث خصّص الكتاب للمقارنة بين اللّغتين من جانب المعجم والنّحو ، واهتم ببيان أوجه التّشابه والاختلاف بينهما،وقد كان تحديده لأوجه الشّبه بين اللّغتين على هذا النّحو:

-التّشابه في الخط واللّفظ والمعنى.

-التّشابه نتيجة لتعاور الحروف المتشابهة المخارج.

-التّشابه نتيجة لتعاور الحروف المتجاورة.

- التّشابه نتيجة التّصحيف .

وقد انتهى في نهاية دراسته إلى نتيجة مفادها أنّ العربيّة والعبريّة والسّريانية متقاربات الاشتقاق والتصريف والألفاظ ، وذلك لقرب مزاج أهلها ولقربهم في الإقليم[1].

- الوقوف على التّغيّرات اللّغويّة التي تحدث لأي من اللّغتين المدروستين أو اللّغات المدروسة ، مثل : التّغيّرات التي طرأت في حروف الحلق، فالعين مثلا تغيّرت إلى الهمزة في الأكاديّة،والخاء تغيرت إلى الحاء في العبريّة والآراميّة...
- التّوصل إلى قواعد مطّردة (عامة) تفسّر التّغيّرات الصّوتية التي طرأت على مدى الزّمن ،حيث انقسمت اللّغة الواحدة إلى لهجات ، ولغات كثيرة انقسمت بدورها إلى اللّغات الأخرى،وقد اتّضح في إطار البحث اللّغوي الصّوتي المقارن أنّ مجموعة من الأصوات مستمرّة دون تغيير ،وهناك أصوات خضعت لتغيّرات بعيدة المدى منها: صوت الضّاد الذي اختفى بمضيّ الوقت من كلّ اللّغات السّامية باستثناء اللّغة العربيّة[2] .
- تصنيف اللّغات بحسب خصائصها وتجميعها في عائلات ، ومستوى هذه المقارنة هو الجانب الفيزيولوجي والنّحوي والدّلالي،وقد قام الباحثون في اللّغات السّامية بتطبيق المنهج المقارن الذي يدرس مجموعة اللّغات العربيّة والعبريّة والآراميّة ، والأكاديّة والعربيّة الجنوبيّة والشّماليّة والحبشيّة بغية الوصول إلى الخصائص المشتركة بين هذه

[1] ينظر: **البحث اللّغوي عند العرب مع دراسة لقضيّة التّأثير والتّأثّر**، أحمد مختار عمر ، ص 334-335.

[2] **أسس علم اللّغة العربية** ،محمود فهمي الحجازي ، ص 20.

اللّغات[1].

وانطلاقا من هذه القضايا التي يهتمّ بها المنهج المقارن في دراسته للّغة يمكن أيضا تحديد أهمّ مجالات البحث اللّغويّ التي تفيد من المنهج المقارن فيما يلي[2]:

- معرفة بعض القضايا التي لم يتمكّن القدامى من اكتشافها،وخاصة إذا أخضعا الألواح والنّقوش القديمة للدّراسات المعلوماتيّة.
- التّمييز بين العرب الخالص والعربيّ المشترك بين اللّغات الجزريّة ،كالأكاديّة والعبريّة والسّريانيّة والعربيّة الجنوبيّة.
- التّمييز بين العربي الأصيل ،والدخيل الذي وفد إلى العربيّة من اللّغات الأخرى كالفارسيّة والتّركيّة والإغريقيّة واللّغات الأوروبيّة.
- مجال الدّلالة بمقارنة العربيّة باللّغات السّامية لتصحيح ما وقع فيه اللّغويون الأوّلون من أخطاء.
- توقع المستقبل للألفاظ العربيّة أو الدّخيلة ، ومدى نجاعتها من عدمها، ثمّ وضع قاعدة لوضع المصطلحات في العربيّة.

رابعا- ايجابيّات وسلبيّات المنهج المقارن في دراسة اللّغة:

برغم ما يقدّمه المنهج المقارن من فائدة لدراسة اللّغة إلا أنّه يمكن أن نستشفّ بعض المزايا والمآخذ التي تعتري هذا المنهج في دراسة اللّغة ،ويمكن توضيحها في الجدول التّالي:

إيجابيّات المنهج المقارن	سلبيّات المنهج المقارن
- تصنيف اللّغات بحسب خصائصها وتجميعها في عائلات لغويّة واحدة. -جمع الخصائص المشتركة بين اللّغات التي تنتمي إلى أسرة لغويّة واحدة. - التّأصيل المعجمي لمفردات اللّغة ،	- لا يتناول هذا المنهج اللّغة من أجل ذاتها، بل إنّ هدفه التّعرّف على الأصل المشترك للغات دون التعمّق في الوصف؛وبالتّالي فهو يغفل جوانب مهمّة في اللّغة كالتواصليّة والتّداوليّة. -عدم الاهتمام باللّغة المنطوقة والتركيز على الوثائق و المخطوطات المكتوبة ؛لأنها السّبيل الأمثل للرجوع إلى الوراء

[1] ينظر: **مناهج البحث اللّغوي**،عبد القادر شاكر، مجلة حوليات التراث،كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم،الجزائر، العدد 09 ، 2009م، ص 75-76.

[2] ينظر : **في مناهج اللّغويّة وإعداد الأبحاث**،صالح بلعيد ،ص 50.

حيث تذكر أصولها والكلمات المرتبطة بها كما تحدّد دلالتها.	ومعرفة التّشابه بين اللّغات التي تطوّرت وتغيّرت بفعل حركة الزّمن. – وجود نوع من الإرباك أثناء المقارنة نتيجة وجود تشابه في بعض المفردات بين أسرتين لغويتين مختلفتين لا تنتميان إلى أصل واحد . – لا يتمّ العثور على اللّغة الأمّ في كثير من الأحيان التي انحدرت منها اللّغات المتشابهة ؛لأنّ هذه اللّغة تعدّ لغة افتراضيّة يحاول باحث اللّغة من خلال هذا المنهج إعادة بنائها.

تقويم تحصيلي:

السّؤال: من خلال ما تم تقديمه في المحاضرة ، حاول أن تقف على الخطوات التي ينتهجها الباحث في دراسته للّغة وفق هذا المنهج (المنهج المقارن).

الإجابة النموذجية : انطلاقا مما تمّ تقديمه في المحاضرة يمكن تحديد خطوات المنهج المقارن في دراسة اللّغة فيما يلي:

1– تحديد موضوع المقارنة : في البداية يجب على الباحث أن يحدّد الموضوع الذي يودّ المقارنة فيه ،وذلك بتحديد اللّغتين المنتميتين إلى أصل واحد وأن يقوم بدراستهما بشكل كافي ووافي،كما عليه معرفة الموضوع المنهجي الذي سيختار منه العيّنة التي ستتمّ مقارنتها .

2– وضع تغيّرات المقارنة : في هذه الخطوة يقوم الباحث بصياغة مجموعة من المتغيّرات في شكل علاقات افتراضيّة تحتوي على نقاط التّشابه والاختلاف بين اللّغتين المدروستين.

3– تفسير بيانات موضوع المقارنة : وهنا يجب أن يكون الباحث وصل إلى المرحلة التي اطّلع من خلالها على كافة بيانات ومعلومات البحث التي تخصّ اللّغتين المراد دراستهما (مصادر ،كتب نقوش...) ،وأتقنها حتى تسهل عليه المقارنة بينهما.

4–**الحصول على نتائج المقارنة:** هي خلاصةٌ أو مجموعةٌ من النتائج تتمثّل في الخصائص والسمات المشتركة بين اللّغتين ،والتي يحصلُ عليها الباحثُ، بعد أن ينتهي من إجراء المقارنة بينهما.